الفصل الثامن

أحوال الأقليات الإسلامية فى قارة أوربا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

الفصل الثامن

أحوال الأقليات الإسلامية فى قارة أوربا

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

مدخـــل

أوربا ليست بلداً واحداً ، ولكنها من أكثر القارات تعددية فى عالم اليوم، حيث تتميز بقدرتها على استيعاب ودمج القوميات التي حلت على أراضيها منذ زمن بعيد، ومع أن أوربا تعد الموطن الأصلي للديانة المسيحية، إلا أنها مرت بمراحل عصيبة عبر تاريخها الطويل والممتد من الصراع حول السلطة الزمنية والسلطة الدينية، زمن ما كان يعرف بالعصور الوسطي ، واستطاعت بعد النهضة أن تتخذ العلمانية ديناً قومياً لها، مع الاحتفاظ للديانة الأخرى - المسيحية - ببعض الممارسات والطقوس التي تؤدى في مناسبات معينة[١] .

فمجرد أن تطرح كلمة أوربا يتذكر الكثيرون من أبناء العالم الإسلامى خلفيات الماضي بكل ما يحمله من مآسٍ وحروب وصراعات وهزائم وانتصارات، واضطهاد، وعنف، وطرد، وإبادة، حيث الحروب الصليبية التي قامت بها أوربا ضد العالم الإسلامى، وهى رافعة شارة الصليب للقضاء على الإسلام في موطنه، مع أن الشعارات قد تبدلت وحلت العلمانية بدلا من الدين المسيحي عند الكثير من الأوربيين ، بل إنه في الوقت الذي كانت فيه الحملات الصليبية تشن أعنف حملاتها على العالم الإسلامى، كانت هناك هجرات من المسلمين إلى أوربا، وعبرت العديد من الأسر المسلمة البحر المتوسط إلى فرنسا، وهولندة وبلجيكا، حيث كانوا الغرس الذي نمت عليه ملايين الأقليات المسلمة هناك في العصر الحديث.

ففي الوقت الذي تحولت فيه أوربا للعلمانية، وتجردت من كل ما خلفته الحضارة الإسلامية من تعاليم روحية وفضائل خلقية ومبادئ إنسانية وسلوكية، أصبحت لا تؤمن في الحياة الشخصية إلا باللذة والمنفعة، وفى الحياة السياسية إلا بالقوة، وفى النواحي الاجتماعية إلا بالوطنية والرأسمالية الجائرة والوجودية البائدة من جهة، وجماعة

الاشتراكيات الطوباوية الحالمة والشوفينيات الطاغية، والشيوعية المستبدة من ناحية أخرى،لتعطينا مجرد شواهد على ما شهدته الساحة الأوربية من تضاد بين الأفعال والقوانين، وبين حرية التدين والتضييق على الإسلام هناك .

والشعوب الأوربية في الأساس هي قوميات من شعوب مختلفة، يختلط فيها أجناس وأعراق عديدة، كل قومية لها هويتها، وثقافتها، وتراثها الحضاري الذي يخرج عبر سلوكيات يقوم بها بعض أفرادها، والارتباط ببعض العادات التي تعد من الأصول التي تتمسك بها الأقلية دوناً عن الأقليات الأخرى، إلا أن الأقليات الإسلامية في أوربا، ورغم تزايدها المستمر - عدداً لا تأثيرا - أصبحت قوة لا يستهان بها، ورغم ذلك فهي تواجه يومياً عشرات الصعوبات وأعمال العنف ضد أفرادها، وقد ظهر ذلك علناً، وبوضوح، بعد التفجيرات الأمريكية الأخيرة أو ما يعرف بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

لكن وعلى ما يبدو من قراءة الواقع : أن الأقليات المسلمة وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) زادت معدلات الاضطهاد والعنف ضدها عن المرحلة التي سبقتها، ولكن بتفاوت ملحوظ بين دولة وأخرى، في إطار الحملة الدولية ضد الإرهاب، أو حملة الغرب ضد الإسلام . والسؤال : لماذا يضطهد الغرب الأقليات الإسلامية على أرضه بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ، بل كيف دخل الإسلام أوربا ؟

الإسلام يعبر الشرق إلى أوربا :

دخل الإسلام أوربا عبر منافذ متعددة كان أبرزها مضيق جبل طارق وجزيرة صقلية من جهة الجنوب ، ومضيق الدردينال والبوسفور وشمال البحر الأسود من جهة الشرق ، ويسجل التاريخ للقائد طارق بن زياد دخول الإسلام الأندلس عام ٧١١هـ ، ثم قام عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي بإقامة دولة بني أمية في الأندلس عام ٧٥٦هـ.

كما كانت هناك منافذ أخرى عَبَرَ خلالها الإسلامُ أوربا على فترات متباعدة أيضاً ، حيث قام السلاجقة في القرن الحادي عشر الميلادي بالتوسع في أوربا وخاصة في منطقة آسيا الوسطي وشمال القفقاس وسيبيريا ، وكذلك قام المغول في القرن

الثالث عشر الميلادي بنشر الإسلام هناك، وزاد عدد المسلمين في حوض نهر الفولا وشمال البحر الأسود، وشبه جزيرة البلقان وفى بلغاريا ويوغوسلافيا ورومانيا والمجر، هذا بجانب الدور المهم الذي لعبته الدولة العثمانية في التوسع بالإسلام في شرق أوربا عبر مضيق الدردينال وكان ذلك في القرن الرابع عشر الميلادي .

وفى عام (١٤٥٣م - ٨٥٧ هـ) فتح محمد الفاتح القسطنطينية وتوجه الخلفاء العثمانيون نحو توسيع سلطانهم بفتح الدول المسيحية مثل : بلغاريا والمجر ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا والصرب وسلوفانيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا والجبل الأسود واليونان وباقي شبه جزيرة البلقان ، فتكونت بذلك إمبراطورية إسلامية واسعة الأطراف ازدهرت في القرن الخامس عشر [٢] .

ومن هنا ، فإن انهيار الحكم العثماني وإعادة توزيع السكان في دول البلقان، قد خلف من بعده تركة من المتناقضات القومية، والعرقية، والدينية، واللغوية تؤدى بين الحين والآخر إلى صراعات سياسية وعسكرية بين دول الجوار، تحركها الرواسب التاريخية ضد الدولة العثمانية التي كانت تحكم باسم الإسلام، الأمر الذي ينعكس بصورة مباشرة على وضع الأقليات الإسلامية - هناك الآن - من اضطهاد وعنف ، وكبت للحريات ، وحرمان من أداء الشعائر الدينية، أو ممارسة أي سلوكيات تدخل في إطار العبادات المفروضة على المسلم ، والجدول التالي يوضح حجم الأقليات الإسلامية في قارة أوربا، والنسبة التي يمثلونها بين الأديان والمعتقدات الأخرى [٣] :

الدولة	عدد المسلمين	النسبة
روسيا الاتحادية	٢٩,٦٠٨,٠٠٠	%٢٠
روسيا البيضاء	١,٠٢٥,٩٠٠	%١٠
أوكرانيا	١,٢٩٩,٠٠٠	%١٠
مولدافيا	٢٥٠,٠٠٠	%٥,٧

جورجيا	٨١٨,٤٠٠	%١٥
أرمينيا	٣٢٩,٣٠٠	%١٠
أسبانيا	٤٥٠,٠٠٠	%١
ألمانيا	٥,١٠٠,٠٠٠	%٣
إيطاليا	٤٥٠,٠٠٠	%٣
البرتغال	٧٥,٠٠٠	%٢
بلجيكا	٥٥٠,٠٠٠	%٥
بلغاريا	٢,٥٠٠,٠٠٠	%٢٠
بولندا	٥٤,٠٠٠	%٣
سلوفاك — التشيك	١٧,٠٠٠	%١
الدنمارك	٦٥,٠٠٠	%١
رومانيا	٢٩٠,٠٠٠	%٢
السويد	٢٢٠,٠٠٠	%١
سويسرا	٨٥٠,٠٠٠	%١
فرنسا	١٠,١٠٠,٠٠٠	%١١
فنلندا	١٥,٠٠٠	%١
مالطا	٤٦,٠٠٠	%٢٠
بريطانيا	٤,١١٠,٠٠٠	%٨
النرويج	١١,٠٠٠	%١
النمسا	١٧٠,٠٠٠	%٤

المجر	٩,٠٠٠	١%
هولندا	٧٥٠,٠٠٠	٤%
البوسنة	٢,٠٧٠,٠٠٠	٥٢% ذات أغلبية مسلمة
سلوفانيا	٢١,٦٧٠	١%
صربيا والجبل الأسود	٢,٣٧٠,٠٠٠	١٩%
كرواتيا	٧٢٦,٢٤٠	٤٠%
مقدونيا	٩٢٧,٠٠٠	١١%
اليونان	٣٧٦,٠٠٠	٢,٥%
جبل طارق	٧,٢٠٠	٨%
كوسوفا	١,٠١٣,٠٠٠	٨٥%
ألبانيا	٣,٧٥٠,٠٠٠	٩٠% ذات أغلبية مسلمة

والملاحظ من بيانات الجدول السابق تزايد عدد المسلمين في القارة الأوربية يومًا بعد الآخر، بل إن الكثير من المقالات الصحفية التي نشرت في صحف عالمية كبرى — مثل : الواشنطن بوست ، والتايم - تؤكد تزايد إقبال الأوربيين على قراءة القرآن الكريم والتعرف على الإسلام عن قرب ، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، وصاحب ذلك إعلان الكثير منهم اعتناق الإسلام عن اقتناع وبعد دراسة متأنية.

الدين والدولة في أوربا :

إن المسلمين في أوربا ليسوا من أجناس أو أعراق واحدة، حيث إن أوربا من القارات الشديدة التعقيد دينياً ولغويًّا وعرقياً ، فعلى مستوى اللغة - باستثناء ألمانيا والنمسا - لا توجد دولتان تتكلمان لغة واحدة ، وإن كان الامتداد اللغوي لدولة ما قد يظهر في دولة

أخرى، وليس شرطاً أن تكون المجاورة لها، كما هو الحال في امتداد اللغة الفرنسية إلى بلجيكا وسويسرا ، والإيطالية إلى سويسرا ، والألمانية إلى تشيكوسلوفاكيا وبولندا وفرنسا ، وتسود مجموعة اللغات الرومانية في غربي وجنوبي غربي أوربا ، وجنوبي الوسط ، بينما تسود السلافية في الشرق.

وتعتبر مشكلة الأقلية الألمانية في الإلزاس واللورين من المشكلات المعقدة حتى الآن، حيث يسمح للطفل عندما يذهب إلى المدرسة أن يدرس اللغة الفرنسية لثلاث سنوات دراسية فقط، بعدها يقوم بدراسة الألمانية بعد ذلك حتى يتقن الطفل ويصبح لديه لغتان (الفرنسية – والألمانية) ، ومع أن الوطن الأصلي لهذه الأقلية ألمانيا، إلا أن الإلزاس واللورين حالياً تخضعان للسيطرة الفرنسية.

أما الدين في أوربا فهو أيضاً له طابع مختلف، فبالإضافة إلى كون الإسلام لا يحتل الترتيب الأول وسط الأديان في أوربا، إلا أنه يتسم بمكانة عالية عند من يؤمنون به ، فهو أغلبية في ألبانيا، والبوسنة الهرسك، وكوسوفا ، وأقليات في معظم البلدان الأوربية، ولكن بنسب عالية حيناً كما في فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، وأقليات صغيرة جداً كما في الفاتيكان، وايطاليا، واليونان .

وأوربا مع أنها ليست مسيحية -كما أشرنا سابقا- إلا أنها شئنا أم أبينا ورغم ادعاء الحكومات الأوربية بتطبيق العلمانية ، فإن المسيحية ما تزال تمثل الأغلبية في أوربا ، وتتوزع ما بين الكاثوليك والبروتستانت ، فالمسيحية الكاثوليكية تصل لـ٧٥% في كل من فرنسا، وأسبانيا ، والبرتغال ، والنمسا وبلجيكا ، أما المسيحية البروتستانتية فتصل لنفس النسبة ، ولكن في الدول الإسكندنافية وإنجلترا وألمانيا وهولندة ، أما الأرثوذكسية فتصل لنسبه أكبر في منطقة البلقان وشرق أوربا ، وتتزايد البروتستانتية في الولايات المتحدة لتصل إلى (٦٥%) وفي كندا لـ (٦٠%).

وعلى هذا يدخل العامل الديني ضمن العوامل التي تؤدى إلى حالة من الفوران إذا ما تصادمت ديانتان في مجتمع واحد[٤] حيث يرغب الأول في إزاحة الآخر، وكان ذلك واضحاً في أزمة البوسنة والهرسك وكوسوفا حيث ارتفع العامل الديني (الأرثوذكس) ليصل إلى أعنف حالاته ضد المسلمين في منطقة البلقان، بل إن قادة

الجيـــوش ورؤساء الوحدات الصربية ذكروا أنهم بادوا المسلمين الأتراك، بغض النظر عن كون هؤلاء المسلمين من نفس العرق الذي ينتمون إليه من عدمه، وهـــذا أيضـــاً يفسر ما حدث في الأندلس من تعقب المسلمين وطرد بعضهم خارج أسبانيا، والبعض الآخر تم القضاء عليه في مذابح لم يسجل التاريخ مثلها عبر صفحاته التي لم تطو حـــتى الآن .

ومراحل اضطهاد المسلمين في أوربا سلسلة لم تنته حلقاتها ، بل زادت من حدتها في أعقاب التفجيرات داخل الولايات المتحدة الأمريكية الأخيرة والمعروفة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

الأقليات المسلمة فى قارة أوربا :

أما تواجد الأقليات المسلمة في القارة الأوربية فقد أخذ بعض المسارات، استطاع خلالها أن يثبت أقدام الإسلام في هذه البلدان بعد أن قام المسلمون الأوائل بوضع الجذور منذ فتح الأندلس، وحتى الفتح العثماني لمنطقة البلقان ، ويمكن تقسيم وضع المسلمين في أوربا لفئات أربع هي [٥] :

الأولى: وهى تمثل فئة الوافدين الذين يمثلون النسبة الأكبر حجماً، وهذه الفئـــة لم تطرح على ذاتها الارتباط بالبلاد الأوربية بعقد المواطنة، واكتفت بالرباط الاقتصـــادي معها، وقد تحولت إقامة المهاجرين المؤقتة إلى إقامة دائمة بالتدرج، وبمرور الزمن، ومن بين هذه الفئة العديد من السياسيين والمثقفين وطلبة العلم ورجال الأزهـــر والـــدعوة الإسلامية، حيث اختاروا الاستقرار في أوربا عن قناعة رغم التباين العقدى – فكريًـــا ومذهبيًا – وكانوا ينظرون إلى أوربا باعتبارها امتداداً حضاريّاً بين الشرق والغـــرب، وبين الإسلام والأديان الأخرى، أما بقية هذه الفئة فتربط العوامل الاجتماعية بينـــهم وبين هذه البلاد الأوربية، حيث يلاحظ لدى الجيل الأول – خاصة- نزعة للاكتفـــاء بالحصول على بطاقات الهوية وجوازات السفر والاستفادة منها على المستوى الخـــاص أو العائلي.

الثانيـــة: ويمثلها اللاجئـــون لأسباب سياسية ، وقد شهد هذا الصنف نمواً عددياً في السنـــوات الأخيرة ، وخاصة من بلدان شمال إفريقيا مثـــل : تـــونس، والجزائـــر،

والمغرب ، وموريتانيا ، ولبنان وسوريا ، ومصر حيث ساهمت هذه الفئة في إيجاد ترابط حضاري وثقافي مع أوربا، والتفاهم مع الآخر بصورة من الندية ، وحوار الثقافات.

الثالثة : ويمثل هذه الفئة السكان الأصليون من أبناء الدولة والمنتمون إليها عرقيًا، وجنسيًا، وسياسيًا، أما دينيًا فقد تخلوا عن ديانة الدولة واتبعوا عقيدة أخرى، وخاصة في منطقة البلقان، التي كانت تتمتع بأغلبية مسيحية أرثوذكسية، إلا أنه وبمجرد أن تعرف أهل هذه المنطقة على الإسلام حتى تحولوا عن عقيدتهم وأعلنوا إسلامهم عن رغبة واقتناع؛ لذلك عندما سئل الرئيس الصربي السابق " سلوبودان ميلوسوفيتش" عن الدافع وراء جرائمه في البوسنة والهرسك أمام محكمة مجرمي الحرب عام (١٩٩٩م) ، أشار إلى أن هؤلاء المسلمين كانوا في الأصل أرثوذكساً ، وأنه يجب أن يعودوا إلى ديانتهم الأصلية مرة أخرى وأن يتخلوا عن الدين الإسلامى الذى ينادى بكراهية الغرب المسيحي، ويتخذ في سبيل انتشاره - منذ ظهوره - الطابع الدموي والعنيف مع الدول التي دخلها في السابق، وخاصة الفترة التي اقتحم فيها الأتراك أوربا المسيحية.

الرابعة: ويمثل هذه الفئة المسلمون الجدد الذين يتمتعون بخصوصية من حيث العلاقة بين الإرث المسيحي والانتماء العقدى الإسلامى ومتطلباته على مستوى الشعائر ونوعية العلاقة مع المحيط ، حيث إن بعض هؤلاء أعلنوا إسلامهم لمجرد أن به من السلوكيات ما لم يجدها في ديانته السابقة، وكذلك هروبا من الحياة المادية القاتلة، أو الفراغ الروحي الذي كان يبحث عنه و لم يجده إلا في الإسلام.

ومن هذا كله يتضح أن العلاقة بين الشرق والغرب- أو بين المسيحية والإسلام- علاقة يسودها التوتر وعدم الانسجام، وعدم الصفاء القلبي بين الطرفين على طول الخط ، فالغرب لم ينتظر حتى فرصة التأكد من مرتكبي أحداث سبتمبر، وأعلن عداوته للإسلام والمسلمين على أرضه بمجرد أن أعلنت الولايات المتحدة عن تورط تنظيم "بن لادن " في التفجيرات الأمريكية الأخيرة ، وأن هذه التنظيم يأخذ فكره من " أسامة بن لادن" الذي يأخذ مبادئه من الإسلام . والسؤال الذي من المنتظر أن يجيب عنه الكتاب

في هذا الجزء هو : ماذا عن أحوال المسلمين الأقلية في دول أوربا الآن وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر(٢٠٠١م)؟

أولا: الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات المسلمة في البوسنة والهرسك

شعوب منطقة يوغوسلافيا السابقة من أصل عرقي واحد، وكانت تمثل - سابقاً - نموذجاً للدولة الاتحادية التي تضم داخل حدودها مزيجاً من الأعراق والقوميات، حيث ضمت - بالإضافة إلى إقليمين يتمتعان بالحكم الذاتي- ستة جمهوريات هي صربيا، الجبل الأسود، كرواتيا، سلوفينيا، مقدونيا، البوسنة والهرسك ، أما الإقليمان فهما كوسوفا وفويفودينا ، وقد لعب الانقسام الكنسي دوراً كبيراً في تبلور الصراعات فيما بينها (مسلمون، أرثوذكس ، كاثوليك) ، كما أن الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به شبه جزيرة البلقان يعد شيئاً مهمًّا في سياسات القوى السياسية الكبرى، حيث تشكل المنطقة حلقة اتصال ووصل بين الشرق والغرب، هذا فضلاً عن وقوع يوغوسلافيا في مدخل البحر الإدرياتيكى [٦] .

كما كان لموقع منطقة البلقان بين الإمبراطوريتين العثمانية والنمسا والمجر قبل الحرب العالمية الأولى له أثره في أنها كانت تمثل خط المواجهة بين الإمبراطوريتين من ناحية، ومن ناحية أخرى تعدد فيها الأديان : الإسلام والمسيحية بفرعيها الكاثوليكي والأرثوذكسي .

ومن هنا ، فإن اندلاع أو نشوب أية خلافات في هذه المنطقة على وجه التحديد من شأنه أن يحول البلقان إلى قطعة من الجحيم، حيث إن الصراع سوف يدور بين مناطق داخل الجمهورية المحاطة بباقي جمهوريات الاتحاد اليوغوسلافي، ومن ثم فإن من الممكن أن تتدخل كل جمهورية - أو إذا شئنا الدقة : كل دين وعقيدة - لصالح امتدادها في البوسنة والهرسك ، فصربيا والجبل الأسود إلى جانب صرب البوسنة، وكرواتيا إلى جانب كروات البوسنة، ويظل المسلمون في البلقان دون سند خارجي، حيث لا يسمح لتركيا أو أية دولة إسلامية أخرى أن تتدخل؛ إذ إن هذا السلوك غير مسموح به أوربيًّا ودوليًّا، الأمر الذي يعني أن أي صراع في المنطقة سيكون على حساب المسلمين، وهذا ما حدث بالضبط عام (١٩٩٢م) عندما أعلنتا البوسنة وكوسوفا استقلالهما.

ويعيش في يوغوسلافيا - التي تبلغ مساحتها (٢٨٨) ألف كيلو متر مربع - حوالي (٢٥) مليون نسمة ينقسمون إلى أكثر من (٢٠) جماعة وأقلية عرقية (صربية، سلوفاكية، كرواتية، سلوفينية، مقدونية، ألبانية، بلغارية، تركية) ، ويتحدثون أكثر من (١٤) لغة ولهجة مختلفة[٧] . ويتمتعون بخلفيات دينية (مسيحية، وإسلامية) مع ديانات عديدة أخرى، الأمر الذي جعل من هذه المنطقة بؤرة فوران ديني وعرقي يتصاعد طالما دعت الظروف إلى ذلك، حيث لعب الدين دوراً مهماً في هذه المنطقة التي تناطحت فيها الكاثوليكية والأرثوذكسية والإسلام، وأثار إقبال النبلاء في يوغوسلافيا على الدخول في الدين الجديد (الإسلام) مخاوف أصحاب العقائد الأخرى، من أن تتحول المنطقة لدولة إسلامية كبرى داخل أوربا، في ظل الانقسامات الحادة المشتعلة بين الكاثوليك والأرثوذكس.

وتنقسم الكنيسة في يوغوسلافيا إلى مذاهب متعددة ، فيصل عدد الأرثوذكس الصرب حوالي (٤) ملايين نسمة .أما عدد أتباع المذهب الكاثوليكي في كرواتيا وسلوفينيا فيصل لـ (٦) ملايين نسمة، في الوقت الذي تصل فيه نسبة أتباع الكنيسة الأرثوذكسية المقدونية (٤) ملايين نسمة[٨] . ويرجع الصراع الأخير في البلقان إلى مطلع عام (١٩٩٠م) حينما انهار سور برلين، وعزلت دول أوربا الشرقية حكوماتها الشيوعية، وتصدع حلف وارسو وتفسخ الاتحاد السوفييتي[٩] .

وبالتالي ، فالصراع بين الإسلام والمسيحية - إذا أطلقنا عليه تجاوزاً : بين الشرق والغرب - هو صراع أزلي بين ديانتين، استطاعت كل منهما أن تحقق لنفسها أتباعاً كثيرين يؤمنون بها من ناحية، وأقليات يتبعونها في بقع أخرى من ناحية أخرى .

لذلك كانت مشاعر الأوربيين - وهم يخوضون حروبهم ضد المسلمين في البوسنة والهرسك- أنهم يقومون بواجب مقدس فرضته عليهم عقيدتهم، وأن ما يقومون به في البلقان هو الامتداد المعاصر للحروب الصليبية، وعبر عن ذلك صراحة الجنرال الفرنسي الشهير (غورو) عندما دخل القدس في عام (١٩٢٠م) بعد معركة (ميسلون) وكان أول عمل قام به : أن زار قبر صلاح الدين الأيوبي، ووقف أمام القبر قائلا له: "ها نحن عدنا يا صلاح الدين" ، ولعل المقصود من العبارة عادوا للقدس مرة أخرى"[١٠] .

ومن هنا يمكن القول بأن حرب البوسنة والهرسك وكوسوفا، هي حلقة من حلقات الهجمة الصليبية الصهيونية على الإسلام، وأن هذه الحلقة لن تكون الأخيرة، فالصراع يتفاقم بين لحظة وأخرى، ومن إقليم إلى آخر؛ لذلك فإن من دلالات هذه الأزمة: أن ملف "المسألة الشرقية" قد أعيد فتحه من جديد بعد (٦٠) عاماً من الطي والنسيان ، فبرغم الاضطهاد وحروب الإبادة المُعلنة ضد مسلمي البلقان، فإن الإسلام ما زال أخطر تهديد يواجه الديمقراطية الليبرالية والمجتمعات الإمبريالية في القرن الحادي والعشرين، والألفية الثالثة بعد الميلاد [١١].

والأقليات والقوميات في أوربا - من الأطلنطي وحتى الأورال - أقليات وقوميات متشابكة ، وكل واحدة لها شبكة اتصالات دولية، بحيث لا تستطيع أمة بمفردها أن تهيمن على أمم أخرى ، وقد تصبح أي محاولة لتغيير هذا الوضع — مثل الذي تقوم به صربيا في منطقة البلقان - نقطة اشتعال وتنادى إلى نداء إقليمي غير مستقر أكثر من ذي قبل [١٢].

كما لم تقم صربيا بمثل هذه الممارسات من العنف والوحشية في حربهم مع البوسنة والهرسك وكوسوفا، إلا بعد أن أدركت يقيناً أن النداء الديني لن يكون له صدى عند الدول الإسلامية، أو حتى العربية، بعكس حربها مع كرواتيا، فقد أهى (بابا الفاتيكان) هذا الصراع بعبارة واحدة وهو جالس على كرسيه - في الفاتيكان - مخاطباً الصرب والكروات قائلا:"عليكم بعدوكم الحقيقي" ، وانتبه الاثنان المتصارعان إلى التواجد الإسلامي في المنطقة ونسى كل منهما ما كان بينهما بالأمس.

وكان من أهم أسباب الأزمة التي أحلت بمسلمي البلقان : أنهم آمنوا بأوربا، فقد ظن البوسنيون أن الاعتراف بدولتهم يتضمن نوعاً من المساندة من جانب المجتمع الدولي، بل تحول الصديق الذي اعترف (بالبوسنة والهرسك) إلى عدو لدود ، وتبين أن الغرب المسيحي لا يرغب عادة في وجود الآخر معه على أرض واحدة ، حتى وإن كانوا يمثلون الأقلية على هذه الأرض.

وعلى الرغم من أن الأمم المتحدة - ومع مطلع التسعينيات وإزاء تفكك الاتحاد اليوغوسلافي - أعلنت اعترافها بثلاث جمهوريات جملة واحدة كدول مستقلة في

البلقان لها حق السيادة على أرضها ، وهذه الدول هي :(البوسنة والهرسك ، وكرواتيا ، وسلوفينيا) إلا أن صربيا أعلنت عدم الاعتراف بهذه الدول جميعها، وقامت بمناورات شكلية مع كرواتيا حيث استطاع (بابا الفاتيكان) وقف هذا الصراع من بدايته كما أشرت سابقاً على اعتبار أن المتنازعين مسيحيون؛ فالصرب (أرثوذكس) ، والكروات (كاثوليك)، أما السلوفان فقد غضت صربيا الطرف عنها حيث تعتنق نفس مذهبها وهو (الأرثوذكسية).

وتكمن مشكلة البوسنة والهرسك في كون سكانها خليطاً من (مسلمين – صرب – كروات) وكل من الصرب والكروات لهم دولهم وأصولهم في جمهورية (صربيا – وكرواتيا) ، أما المسلمون فليس لهم سوى البوسنة، ويشكلون فيها الأغلبية (٥٠%) من إجمالي السكان ، وأعلنت صربيا تمسكها بالبوسنة نظراً لأهميتها بالنسبة لها، بل ومنطقة البلقان كلها فمن يسيطر عليها يستطيع أن يهدد وسط وشرق أوربا، ويستطيع أن يهيمن على البحر الأسود، كما يستطيع أيضاً أن يتحكم في شرق البحر المتوسط، وبالتالي يضمن السيطرة الكاملة على طريق تجارة البترول إلى أوربا الغربية [١٣] .

ويوغوسلافيا اسم حديث، أطلق على عدد من ممالك أوربا الشرقية بعد الحرب العالمية الأولى، فبعد هزيمة الجيوش النازية أمام المقاومة الشعبية اليوغوسلافية في نهاية الحرب العالمية الثانية، برزت إلى الوجود جمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية ذات التوجه الإلحادي، وتحولت يوغوسلافيا إلى دولة شيوعية مع مطلع عام (١٩٤٦م) ، وقامت الحكومة بإغلاق جميع المدارس الإسلامية سواء التي تخضع لإشراف الحكومة أو الخاضعة للهيئات والمراكز الإسلامية بدول الاتحاد، وفى ١٧ أبريل ١٩٦٣م أعلنت يوغوسلافيا جمهورية فيدرالية شعبية مكونة من جمهوريات ست وإقليمين يتمتعان بالحكم الذاتي ، وهم وفق ما يشير إليه الجدول التالي [١٤] :

م	الدولة	العاصمة	عدد السكان	غالبية السكان
١	صربيا	بلجراد	٨,٧٥٤,٠٠٠	مسيحيون أرثوذكس
٢	كرواتيا	زغرب	٥,٦٦٧,٠٠٠	مسيحيون كاثوليك
٣	البوسنة والهرسك	سراييفو	٦,٤٢٩,٠٠٠	مسلمون
٤	سلوفينيا	لوبليان	٢,١١٥,٠٠٠	مسيحيون أرثوذكس
٥	الجبل الأسود	تيتوجراد	٨٠٠,٠٠٠	مسيحيون أرثوذكس
٦	مقدونيا	سكوبيا	٢,٥٦٠,٠٠٠	مسيحيون أرثوذكس
	أقاليم الحكم الذاتي بيوغوسلافيا			
١	كوسوفا	برشتينا	٢,٥٨٤,٠٠٠	٩٨% مسلمون
٢	فويفودينا	نوفى ساد	٢,١٥١,٠٠٠	ثلث السكان أرثوذكس

ويشير العامل الجغرافي للمنطقة : أن جمهورية البوسنة والهرسك تقع شمال غرب شبه جزيرة البلقان، يحدها من الشمال نهر (صافا) ومن ورائه كرواتيا وإقليم فويفودينا التابع لصربيا والمتمتع بالحكم الذاتي ، ومن الشرق جمهورية صربيا ، ومن الجنوب الغربي جمهورية الجبل الأسود ، وهما يفصلانها عن إقليم كوسوفا الذي يتمتع بالحكم الذاتي، ويلاصق كلا من ألبانيا ومقدونيا ، كما تطل المنطقة الغربية الوسطي من الجمهورية على بحر الإدرياتيك، ويفصل جمهورية البوسنة والهرسك عن بحر الإدرياتيك، حيث يحدها من الشمال الغربي إقليم (دلماسية) الذي كان في السابق إقليما (بوسنيا) فصار تابعا لكرواتيا [١٥] .

أما كلمة البوسنة ، فهى تنسب إلى نهر البوسنة الذي يبلغ طوله حوالي (٢٧٣) كم، أما الهرسك فهي كلمة محرفة من كلمة "هرتزوج" ومعناها "الدوق" نسبة إلى الدوق " ستيبات فوكتشيتش " الذي حكم هذه المنطقة في عهد الإمبراطورية النمساوية (١٤٤٨م) ، أما العاصمة (سراييفو) فتنسب إلى (إيفو) أحد قادة الصرب، وكانت تسمى فى العهد العثماني الإسلامي (سراي البوسنة) [١٦] ، وأثبتت الدراسات : أن الصراع في البوسنة بدأ مع مطلع عام (١٩٩٠م) وكان صراعا محدودا في البداية،

ولم يأخذ صورته العنيفة إلا مع بداية عام (١٩٩٢م) عندما أعلنت البوسنة والهرسك استقلالها، وأصبحت دولة لها حقوقها السياسية ولها رئيسها وحكومتها.

واستطاع الإعلام الغربي والصربي إثارة وتهييج المشاعر الأوربية ذات النزعة المسيحية، وزعم أن البوسنيين يخططون لإقامة دولة (أصولية) في أوربا [١٧]، فكانت الحرب على المسلمين في البوسنة، وإن كان البعض يؤكد بأنها حرب عرقية، إلا أن الشواهد تشير إلى أنها حرب دينية حقيقية بين المسلمين والأرثوذكس والكروات، يصاحبها عوامل أخرى كالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وإن هذا لا ينفي أن العامل الديني على قائمة الدوافع التي دفعت صربيا لخوض حربين متتاليتين: الأولى مع البوسنة ، والأخرى مع كوسوفا، وإن كان سبقهما حرب صربيا مع كرواتيا، إلا أن هذا لم يتعدَ مناوشات واعتداءات لم تأخذ طابع العنف الذي تعرضت له البوسنة وكوسوفا ، فقد وضعت القوات الصربية شروطاً لنجاة المسلمين من القتل أو التعذيب ، وكان أول هذه الشروط: التبرؤ من الإسلام والإيمان بالمسيحية، وأن يطلق المسلم على نفسه اسماً مسيحيًّا ، في هذه الحالة فقط لا يُقتل مسلم، ولا تُغتصب فتاة [١٨] .

وإزاء هذا الصراع أصدرت الولايات المتحدة تصريحاً هزيلاً يهدد حكومة بلجراد بفرض عقوبات اقتصادية عليها، إن لم تتراجع عن الممارسات العنيفة التي تقوم بها ضد المسلمين في البوسنة والهرسك ،ووصف الصرب ما يقومون به من حرب وإبادة ضد المسلمين في البوسنة، بأنه جزء من محاولة احتواء الظاهرة الإسلامية الراديكالية في وسط أوربا، أما (هيرويه أسلوك) زعيم الحزب الشيوعي البوسنوى في اجتماع الحزب عام (١٩٨٢م) قال نصًّا [١٩] : " إن الصربيين يحاولون تمييز أنفسهم بالأرثوذكسية، والكرواتيين يميزون أنفسهم بالكاثوليكية، أما المسلمون كأقلية عددية ، فهم يحاولون اكتساب الهوية الإسلامية من الدول الإسلامية فى الشرق الأوسط وإيران وباكستان وأفغانستان" فقد أسفر انهيار الشيوعية فى يوغوسلافيا عن ضعف الكيان السياسي الحاكم،وعدم قدرته على امتصاص الأقليات التي يضمها الاتحاد، فأعلنت رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف (١٩٩٠م) إفساح المجال لإقامة نظام متعدد الأحزاب، وأجريت في النصف الثاني من عام (١٩٩٠م) أول انتخابات ديمقراطية حرة بنظام التعددية السياسية ، وجاءت نتائجها بهزيمة الشيوعيين في جمهوريات أربع من دول الاتحاد

اليوغوسلافي: (البوسنة والهرسك، مقدونيا، سلوفينيا، كرواتيا) وفوز أحزاب اليمين القومي الليبرالي، وأعلنت كرواتيا وسلوفينيا الاستقلال في يونيه (١٩٩١م) وأسرعت صربيا بضم ثلثي أراضي كرواتيا يدفعها إلى ذلك ترسانة الأسلحة التي ورثتها عن الاتحاد اليوغوسلافي السابق [٢٠].

كما أعلن " علي عزت بيجوفيتش" استقلال جمهورية البوسنة والهرسك عن الاتحاد اليوغوسلافي بعد استفتاء (٢٩ فبراير ١٩٩٢م) حيث أيد (٩٩,٤٣%) ممن أدلوا بأصواتهم استقلال الجمهورية من المسلمين والمسيحيين على حد سواء، إلا أن صربيا لم توافق على انفصال البوسنة، ودخلت في حرب معها في ٤مارس (١٩٩٢م) بعد يوم واحد من الاستقلال [٢١] .

والثابت تاريخيا : أن العداوة بين المسلمين والمسيحيين في البلقان تعود إلى زمن الفتح العثماني الإسلامي للمنطقة ، وهنا يجدر التساؤل عن الفتح العثماني لمنطقة البلقان : هل كان العثمانيون حقاً يضطهدون الأقليات المسيحية هناك آنذاك ؟ وهل ما يحدث في منطقة البلقان في هذه العقد رد فعل طبعي لما كان يقوم به العثمانيون في تلك المنطقة في القدم ؟

الفتح العثماني لمنطقة البلقان:

يرجع العداء الصربي للمسلمين في البوسنة إلى عهد الفتح العثماني لمنطقة البلقان، فالعداء ليس وليد اللحظة، بل يرجع في حقيقته إلى مئات السنين، عندما غزت القوات العثمانيين أوربا الشرقية عام (١٣٨٩-١٥٦٦م) واستيلاء الأتراك العثمانيين على مقدونيا ثم ألبانيا فالبوسنة والهرسك، والصرب وكرواتيا وبلاد المجر وأجزاء من بلغاريا حتى أصبح بحر (إيجة) بحراً إسلاميًا [٢٢] .

ونظراً للتنوع العرقي الموجود في البلقان، وحتى تستقر الأوضاع للعثمانيين في هذه المناطق، سمح " محمد الفاتح " بعد أن فتح بلاد البوشناق في (١٤٦٣م) للكاثوليك من خارج الدولة العثمانية بالقدوم لتعمير الأراضي التي تحتاج إلى استصلاح ، وأصدر قانوناً لذلك عرف بـ"عهد نامة" لسكان ميلودرازوة [٢٣] .

وتوالت الانتصارات العثمانية في البلقان بفتح كل بلاد البوشناق (١٤٨١م) ، ثم معظم كرواتيا (١٥٢٦م) ، ووصل العثمانيون إلى سلوفينيا (١٥٦٦م) إلا أنهم لم يفتحوها، كما لعب أهل البوسنة دوراً مهماً بجانب الأتراك في منطقة البلقان وخاصة

في حروبها ضد النمسا والبندقية، حيث تأثرت أوضاع البوسنة ذاتها بكثير من هذه الحروب، بل لقد دارت الحرب ضد النمسا (١٦٦٣، ١٦٦٤م) من أرض البوسنة، وأحرقت القوات النمساوية مدينة سراييفو عام (١٦٩٧م)، وأدى تراجع النفوذ العثماني في البلقان بعد مؤتمر برلين (١٨٧٨م) والذى أعاد النظر في المسألة الشرقية من جديد، وأشارت بنود المؤتمر إلى استقلال الصرب والجبل الأسود وضم البوسنة الهرسك إلى النمسا باسم السلطان العثماني ، وأصبحت منطقة البلقان منطقة صراع عالمية بين كل من روسيا - نصيرة الصرب منذ الأزل، حيث كانت أولى الدول في العالم التي اعترضت على توجيه ضربة عسكرية من قبل حلف الناتو للجمهورية الصربية - وكذلك النمسا نصيرة الكروات حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى والتي بدأت من (سراييفو)[٢٣] ، كما عانى المسلمون كثيراً في ظل الإمبراطورية النمساوية المجرية من عمليات التنصير والاضطهاد ، ولم يرضخ المسلمون في البوسنة لهذه الممارسات الوحشية ، بل ثاروا على الحكم النمساوي عام (١٩٠٠م) بزعامة "علي فهمي جابيج" ، واستطاعوا أن يحصلوا على الحكم الذاتي في الجوانب الدينية عام (١٩٠٩م) [٢٤] .

وبعد الحرب العالمية الأولى انهزمت الإمبراطورية النمساوية – المجرية ، وتأسست في أعقابها الدولة اليوغوسلافية، وبدأت تشتعل من جديد الحرب في البوسنة، فكانت حرب البلقان الأولى (١٩١٢م) بين تركيا وبلغاريا من جهة، صربيا والجبل الأسود واليونان من جهة أخرى، أما حرب البلقان الثانية فكانت بين بلغاريا وبين صربيا والجبل الأسود أيضاً، وفي الحرب الأولى والثانية كان الانتصار حليف صربيا والجبل الأسود [٢٥] .

وقد تعرض المسلمون في الحربين العالمية (الأولى والثانية) إلى أشد حالات التعذيب والاضطهاد من جانب المسيحيين الأرثوذكس، كما تعرضوا أيضاً لأشد درجات العنف من المسيحيين الكاثوليك بعد الحرب العالمية الثانية على يد " تيتو " الذي قضى على أكثر من ربع مليون مسلم في الفترة من (١٩٤١-١٩٤٥م) [٢٦] . ومع أنه سبق وأن وعدهم - في حالة وقوفهم بجانبه في حرب التحرير الشعبية اليوغوسلافية - أن يمنحهم حقوقهم الدينية، فإنه وفور توليه الحكم صادر كل أوقافهم الإسلامية، وأغلق جميع مساجدهم، وراح يحولهم من مواطنين أصليين إلى لاجئين، وطردهم خارج حدود الدولة [٢٧] .

واستمرت معاناة المسلمين من الاضطهاد والعنف والتضييق عليهم في ممارسة شعائرهم إلى أن انهارت الشيوعية في الاتحاد السوفييتي السابق، الأمر الذي هز كيان الشيوعية في أوربا الشرقية كلها، بما فيها الاتحاد اليوغوسلافي، مما دفع المجلس النيابي الأول للأقليات المسلمة في جمهورية يوغوسلافيا في أبريل (١٩٩٠م) إلى الإعلان عن دستور للمسلمين ينضم إليه جميع المسلمين في يوغوسلافيا [٢٨] .

وفكرت البوسنة في أن تستقل بنفسها عن الاتحاد اليوغوسلافي، إلا أن صربيا ساندت مواقف صرب البوسنة في عدم الانفصال باعتبار أن المسلمين هم في الأصل من الصرب، واعتنقوا الإسلام خلال الحكم العثماني، وهذا الانتماء الديني المخالف لعقيدة صربيا (الأرثوذكسية) لا يستوجب إعطاء المسلمين الحكم الذاتي في يوغوسلافيا، فالصرب والكروات لهم دعاوى قديمة في أراضى البوسنة وإن كان يرى اليوغوسلاف - الحزب والحكومة- أن تعدد القوميات واختلاف الديانات أحد عوامل الانقسام الذي يؤثر على وحدة الدول السياسية، فضلاً عن أن يوغوسلافيا بلد شديد التعقيد من ناحية الموزايك القومي، ثم أصبحت أكثر تعقيداً حين دخلت حلبة الصراع مع المسلمين في منطقة البلقان.

وعندما تم السماح بإجراء الانتخابات العامة الحرة عام (١٩٩٠م) كان الاستثناء هو جمهورية الصرب والجبل الأسود، والسبب : أن قيادة (قومية، صربية) تولت مقاليد الحكم في الصرب بزعامة "سلوبودان ميلوسوفيتش" ، وكان هذا التحول من الشيوعية إلى القومية،هو الذي جعل الحزب الشيوعي يحتفظ بالسلطة وتحديات الأحزاب القومية الجديدة،حيث أجاز القانون تشكيل الأحزاب السياسية بموجب طلب موقع من (١٥٠) عضواً على الأقل، واشترط : ألا تكون الأحزاب قائمة على مبادئ عنصرية أو دينية. وبمجرد أن تم الإعلان عن فوز حزب العمل الديمقراطي بأكبر عدد من المقاعد في برلمان البوسنة والهرسك أثار ذلك غضب الشيوعيين ، وكتب بعضهم فى الصحف والمجلات عن تحول البوسنة إلى إيران جديدة في قلب أوربا، الأمر الذي جعل أوربا تنتبه إلى خطر الأصولية الإسلامية في البلقان، ساعد على تنامي هذا التوجه نتائج الانتخابات بفوز حزب العمل الإسلامى بزعامة على "عزت بيجوفيتش" [٢٩] .

وطعنت صربيا في نتائج حزب العمل وكذلك شرعية الرئيس " على عزت بيجوفيتش" وادعت أن حزبه قام على أساس ديني إسلامي ، وهذا مخالف للقانون

الجديد،مع أن حزب العمل لم يكن أول حزب يؤسس للمسلمين في البوسنة والهرسك ، فقد سبقه الحزب الإسلامي اليوغوسلافي بزعامة الدكتور " محمد سباهو " (١٩١٩م) الذي تولى رئاسة أكثر من حكومة بوسنية بين الحربين الأولى والثانية [٣٠] .

وظهرت النوايا الصربية مبكرة على لسان زعيم الصرب "سلوبودان" الذي قال في خطابه الشهير في نهاية عام (١٩٨٨م) وفي الاحتفال بذكرى معركة سهل كوسوفا والتي وقعت أحداثها قبل (٦٠٠) عام وذلك في ٢٨ يونيه (١٣٨٩م) : "على كل صربي ألا ينسى المجزرة التاريخية التي أنزلها أبناء الأتراك المسلمين هنا على أرض كوسوفا ، فعلينا أن نحشد جميع قواتنا لنثأر لأجدادنا من أعداء تاريخنا، وعلينا أن نطرد المسلمين من أرضنا ، وأن نلحق بهم العار الذي ألحقوه بنا في الماضي" [٣١] .

وقامت القوات الصربية بأبشع أنواع التعذيب التي لم يشهد التاريخ مثلها من قبل حيث بلغت جملة النساء المسلمات اللائي تم اغتصابهن في العام الأول من حرب البوسنة والهرسك (٥٠) ألف فتاة، وأحيانا كانت هذه العمليات تتم بصورة جماعية، حيث تقول وثائق الجمعية الإغاثية الألمانية : إن امرأة في الأربعين من عمرها كانت معتقلة في معسكر (ترنو بولوجي) الصربي تقول: "لا أدرى كم مرة أخذوني من النوم ليغتصبوني جميعا " [٣٢] .

كما نقلت صحيفة بريطانية عن أحد المقاتلين الصرب قوله : " إن العالم الإسلامي لا يبالي بما يجرى هنا في البلقان، فدعنا نتخلص منهم إلى الأبد" [٣٣] .

ولم تكتف القوات الصربية بأعمال القتل أو تمزيق جثث ضحاياهم، بل رسموا عليها الصلبان ،كما كانت الجثث تنقل في شاحنات كبيرة لمصانع الأعلاف، حيث كان يتم إدخال الجثث في فرامات وطحانات مع إضافة بعض المواد الكيميائية لتصبح جثث المسلمين غذاءً طازجاً للحيوانات ، وهذا ما أعاد إلى أوربا مأساة ما عرف بجنون البقر [٣٤] .

وبلغت وحشية الصرب وعداؤهم الدفين للمسلمين عندما نقلت شبكة (C. N. N) الإخبارية الأمريكية – عبر نشرتها الإخبارية- لقطات لوزير الإعلام الصربي وعضو بالبرلمان يلعبان الكرة بجماجم المسلمين بطريقة متعمدة واستفزازية [٣٥] أمام مراسلي محطات التليفزيون العالمية ، مما يؤكد نجاح مراحل خطة الصرب في تصفية الوجود الإسلامي في منطقة البلقان.

وكان نجاح الصرب في عمليات إبادة شعب البلقان يعود لأسباب أهمها :

- استفادة صربيا كثيراً من الحزب الشيوعي المنهار، فكانت نسبة الصرب في الجيش (٨٠%) ونفس النسبة تقريباً في السلك الدبلوماسي، حتى إن رؤساء الجامعات وعمداء الكليات والقائمين بالتدريس من الصرب، وحرمت دول الاتحاد من هذه المزايا.
- بعد الانهيار الفعلي للاتحاد اليوغوسلاق أعلنت الحكومة اليوغوسلافية عن خطتها لإقامة دولة (كونفدرالية) أي علاقة تعاهدية قائمة على رضا كل دولة بالبقاء في الاتحاد، كما ورثت صربيا عن الاتحاد كل الأسلحة والعتاد الحربي الذي كانت تملكه دوناً عن بقية دول الاتحاد.
- يغلب على القيادة الصربية الطابع الطائفي ، ورغبتها في القضاء على الآخر، وتذكير الجنود الصرب بمعارك حدثت بين الصرب والأتراك المسلمين منذ (ستمائة) عام.
- الحرب الإعلامية التي بثتها محطات التلفزة الصربية وإطلاق عبارات تسيء إلى الإسلام من ناحية والمسلمين من ناحية أخرى مثل (الأصوليون، المتعصبون، الخمينيون ، الإرهابيون ... إلخ).

ومن هنا ، فالشواهد والأحداث تؤكد أن سبب حرب البوسنة والهرسك، ومأساة هذا الشعب المسلم لم يكن اختلاف أعراق، أو ثقافات أو أطماع صربية في أراضي دولة مجاورة، بل كان دينيا وذلك من منطلق عدد من التساؤلات المنطقية ، فبماذا نسمى ذبح المسلمين في البلقان - المسلمين فقط - وإحراقهم والتمثيل بجثثهم حتى بعد قتلهم ، ورسم الصلبان على صدورهم وبطونهم ، إن لم تكن حرباً صليبية ، فماذا تكون إذن ؟

وماذا نسمى اغتصاب الآلاف من النساء البوسنيات - المسلمات فقط - وتقطيع أثدائهن، وبقر بطون الحوامل منهن والتمثيل بالأجنة إن لم تكن حرباً ضد الإسلام فما هو التوصيف المنطقي إذن ؟!

وبماذا نسمى تصفية الشباب البوسنوى- المسلم فقط - وقطع أعضائهم التناسلية وذبحهم كالشاة أو إجبار الغالبية منهم على اعتناق الأرثوذكسية ، فماذا نسمى هذه

الحرب إن لم تكن حرباً دينية، الهدف منها إبادة الأقلية المسلمة في البلقان ، فبماذا نسميها إذن ؟!

ومن هنا ، فالوضع في منطقة البلقان بعد اتفاقية دايتون (١٩٩٦م) ما يزال على فوهة البركان، ومن الوارد أن تنفجر الأحداث في المنطقة بين الحين والآخر، طالما أنه لا يوجد إلى الآن حلٌ عادلٌ يعطى لشعب البوسنة حقه في الاستقلال مثل غيره، كالكروات والسلوفان وبقية القوميات التي حصلت على استقلالها في بلدان العالم المختلفة .

ثانيا: أوضاع المسلمين في كوسوفا
قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

أدى تحلل يوغوسلافيا الاتحادية في النصف الأول من عقد التسعينيات كأحد تداعيات تفكك الاتحاد السوفييتي القديم، الذي يشترك معه في الأيديولوجية (الشيوعية) إلى عودة شبح العنف وعدم الاستقرار إلى منطقة الفوران الأوربية أو البلقان من جديد ، حيث تسبب تنامي ظاهرة النزاعات القومية (التي غلفت بغلاف الدين) إلى تفكك الاتحاد اليوغوسلافي نفسه.

والملاحظ أنه وبمجرد أن أوشكت مشكلة البوسنة والهرسك على الانتهاء – بعقد اتفاقية دايتون – حتى ظهرت مشكلة أخرى من نفس النوعية السالف ذكرها، وتحولت (كوسوفا) إلى بؤرة مزمنة للنزاع بين ألبان كوسوفا وصربيا ؛ إذ إن الصرب يعتبرون كوسوفا أرضاً لمهد حضارتهم ؛ لأن فيها تكونت ملامح القومية الصربية من لغة ودين ، وبها مقر البطريركية الأرثوذكسية التي تم بناؤها في القرن الـ (١٣) الميلادي .

كما كان حلم الصرب القديم قائماً على أساس إقامة (صربيا الكبرى) التي كان من المزمع أن تضم البوسنة والهرسك ومقدونيا والجبل الأسود وألبانيا وكوسوفا، فما حدث في إقليم كوسوفا هو حلقة من سلسلة حلقات تقوم بتنفيذها صربيا، بمجرد أن تنتهي من الأولى تكون الثانية على وشك الانفجار، وهنا تبرز عدة تساؤلات تفرض نفسها على مجال البحث، فإذا كانت مشكلة كوسوفا بدأت بالفعل مع نهاية عام (١٩٨٩م) عند إلغاء الحكم الذاتي لكوسوفا، فلماذا تأجلت إلى ما بعد المذابح وأعمال العنف التي شهدتها البوسنة والهرسك؟ بل لماذا كانت أزمة كوسوفا ؟ وما هي الأسباب التي دعت إليها ؟

وبداية ، فإن كوسوفا اسم قديم للتعبير التركي (قوصى أوه) ومعناه : السهل الواسع، وقد تكتب (قوصوه) ، وقد سكنها الألبان منذ زمن بعيد ، ووقع الإقليم تحت الحكم العثماني لأكثر من (٤٣٠) عاما[٥٠] . ويقع إقليم كوسوفا في القسم الجنوبي من جمهورية صربيا، ويمثل (١٢%) من المساحة الكلية لها، ويعد الإقليم أخصب مناطق يوغوسلافيا بالنسبة للزراعة بشكل عام.

ومن أوائل صادراتها المعدنية: الذهب الخام، والفحم، والنيكل ، والرصاص ، والزنك الذي يصل احتياطيه (٤٥%) من احتياطي إنتاج يوغوسلافيا، كما يقدر عدد السكان داخل الإقليم حوالي (مليونين ومائة ألف نسمة) يشكل الألبان فيه نسبة (٩٨%) ، بينما يشكل الصرب والغجر والأتراك النسبة الباقية، وبالتالي يكون الألبان هم ثاني أكبر قومة في يوغوسلافيا الاتحادية بعد الصرب، في الوقت الذي يمارس فيه الصرب أعمالهم الوحشية واستفزازاتهم المتكررة بمشاعر الألبان بقولهم : إن كوسوفا تنجب القنابل البشرية، وإن هناك أوامر قد صدرت من أئمة المساجد تطالب النساء المسلمات بإنجاب المزيد من الأطفال، وحيث يقول "سلوبودان" في خطابة التاريخي في بلجراد ١٩نوفمبر (١٩٨٨م) : "لم أشاهد امرأة ألبانية في كوسوفا إلا وهي حامل، فقد تكون في السبعين من عمرها ولكن بطنها منتفخة ، فهم يحاربوننا بالأطفال حتى يتحول الإقليم إلى إقليم إسلامي (١٠٠%) ، وبالتالي يطالبون بالاستقلال عن صربيا أو ينضمون إلى إخوانهم (الألبان) المسلمين "[٣٦].

وقامت وسائل الإعلام الصربية بشن عدد من الحملات ضد المسلمين الألبان في كوسوفا تحت زعم أن المسلمين يضطهدون الأقلية الصربية بسبب عقيدتهم الأرثوذكسية كما فعلوا منذ ستمائة عام مضت، وعلى الرغم من مرور مئات السنين على معركة كوسوفا – والتي انتصر فيها العثمانيون على الصرب بعد قتل "لازار" ملك الصرب – لا يزال "سلوبودان " بل والصرب أيضاً يتحدثون عن هذه المعركة، وكأنها وقعت بالأمس .

وفي الاحتفال بالذكرى المئوية السادسة لمعركة كوسوفا في ٢٨يونيه (١٩٨٩م) قال "مومتشياوترا " الزعيم الصربي لحزب بريشتينا الشيوعي: "إن الصربيين لا يحتفلون بالزعيم، بل يريدون التأكيد على أن باستطاعتهم البقاء على قيد الحياة رغم قرون عديدة من السيطرة التركية" ، وطالب قادة الصرب بالثأر لأجدادهم، حيث قامت القوات الصربية بمظاهرات في شوارع بلجراد تطالب بإحكام القبضة على كوسوفا وفويفودينا المتمتعتين بالحكم الذاتي، وقدر عدد المتظاهرين بحوالي مليون ونصف المليون صربي.

كما أدى إضراب عمال مناجم الزنك والرصاص إلى تدخل حكومة بلجراد في الشؤون الداخلية للإقليم، وأجبرت السلطة الصربية البرلمان في إقليم كوسوفا على تغيير الدستور – أي التخلي عن استقلالية الإقليم- وفي ٢٣ مارس (١٩٨٩م) حضر جميع

أعضاء البرلمان بكوسوفا بالقوة وتم التصويت على تعديل دستور (١٩٧٤م) ، بحيث تضمن صربيا سيطرتها الكاملة على الإقليم ضد التزايد العددي للسكان الألبان المسلمين، وبالمثل إقليم فويفوديا المتمتع هو الآخر بالحكم الذاتي، والواقع تحت سيطرة صربيا ، واعترض ألبان كوسوفا على تعديل الدستور ، وقاموا بمظاهرات شعبية شملت العاصمة، ورد عليها الصرب بذبح أكثر من (٣٠٠) مسلم في بريشتينا، وقامت القوات الصربية بإخمادها بالقوة والعنف[٣٧] ، وساد الجمهوريات اليوغوسلافية قلقٌ بالغٌ من الأطماع الصربية والرغبة في تحقيق حلم صربيا الكبرى مما دفع هذه الجمهوريات إلى التعجل بالانفصال عن يوغوسلافيا عام (١٩٩١م) .

وكان ألبان كوسوفا قد أعلنوا الاستقلال في ١٩٩٠/٧/٢م ، وأعقبوها بإعلان الجمهورية في ١٩٩٠/٩/٧م وفي أواخر سبتمبر (١٩٩١م) وعلى مدى خمسة أيام أجرى شعب كوسوفا استفتاءً بشأن استقلال الإقليم أسوة بجمهوريات الاتحاد اليوغوسلافي، وأثمرت نتائج الاستفتاء في كوسوفا عن إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية وتم انتخاب " إبراهيم روغوفا " الذي يرأس حزب الاتحاد الديمقراطي في كوسوفا رئيساً لدولة كوسوفا المستقلة التي لم تعترف بها إلا ألبانيا أثناء تولي " صالح بريشا " رئاسة ألبانيا، الأمر الذي أثار غضب صربيا ضد "صالح بريشا "، واستغلت الاضطرابات التي حدثت في ألبانيا (١٩٩٦م) وأيدت سقوط حكومة " صالح بريشا " ، الذي كان يدعم ألبان الإقليم ويعمل على تدويل قضية كوسوفا عالمياً، لتصبح دولة إسلامية مجاورة لألبانيا في أوربا[٣٨].

ومن هنا تجدر الملاحظة إلى أن مشكلة كوسوفا لم تظهر فقط منذ عام (١٩٩٧م)، بل من أواخر (١٩٨٩م) عندما ألغت صربيا الحكم الذاتي للإقليم، وبدأت تتدخل في شؤونه الداخلية ووصلت الأزمة إلى أعلى درجاتها عام (١٩٩٨م) عندما قامت المظاهرات داخل الإقليم تطالب بالاستقلال والانفصال الفعلي والحقيقي عن صربيا.

وهذا ما يؤكد أن أزمة كوسوفا سبقت أزمة البوسنة والهرسك بسنوات عديدة، إلا أن البوسنة تم تقديمها أولاً ، وعادت صربيا لتصفي حساباتها من جديد مع إقليم كوسوفا بعد أن هدأت الأوضاع واستقرت نسبياً في البوسنة والهرسك عن طريق معاهدة دايتون في ديسمبر (١٩٩٥م) .

كما أن الواقع يشير إلى أن هناك أكثر من مغزى من التقديم والتأخير في مآسي شعوب البلقان وتكمن بالتالي جذور مشكلة كوسوفا في عاملين[٣٩]:

- **أولهما:** التدخل الإثني المرتبط بتميز ثقافي تاريخي، يمتد إلى زمن الغزو العثماني للإقليم وهزيمة الصرب وانهيار مملكتها في معركة كوسوفا عام (١٣٨٩م).
- **ثانيهما:** يتمثل في تنامي ظاهرة الشوفينية القومية، أو ظاهرة التعبير المفرط عن الشعور الذاتي القومي، واعتبار الجنس الصربي هو أصل الكون، وأصل الأجناس البشرية كما يزعم اليهود.

وكما أشرت سابقاً إلى بداية الصراع في كوسوفا ، فإن صربيا احتلت إقليم كوسوفا بالقوة العسكرية في ١٩٩٧/١٢/٦م الأمر الذي عجل بظهور جيش تحرير كوسوفا الذي بدأ في مقاومة الاعتداءات الصربية ، ليأخذ الشق العسكري من الأزمة من عام (١٩٩٣م) حيث ظهرت المجازر الوحشية للصرب على المستوى الإعلامي في كوسوفا في مارس (١٩٨٨م) في درينتسا، ودوكاجين مايو(١٩٩٩م) ، إلا أنه ومع تزايد الأعمال الوحشية في الإقليم لم يصدر عن الأمم المتحدة قرار إدانة واحد لما يقوم به الصرب إلا في ١٩٩٨/١٠/١م عندما قام حلف الأطلنطي بضرب بعض القواعد العسكرية في بلجراد في مارس (١٩٩٩م) أثر رفض الرئيس الصربي "سلوبودان " الموافقة على اتفاق السلام في كوسوفا (رامبوييه)، ومنع أعمال العنف ضد الألبان العزل داخل الإقليم[٤٠] .

هكذا اتخذ الصراع في كوسوفا منحى آخر يتميز بطابعه العنيف والدموي، وفى هذا الإطار أخذت أعمال العنف في التصاعد بين قوات الأمن الصربية وعناصر من جيش تحرير كوسوفا منذ مطلع (١٩٩٨م) ، وانفجر الوضع في الإقليم بصورة واضحة مع نهاية شهر فبراير من نفس العام وفى أعقاب مقتل أربعة من رجال الشرطة الصربية في كوسوفا، واتهم فيها جيش تحرير كوسوفا، ادعت صربيا أنها تدخلت في الإقليم لتأديب المتمردين الألبان، إلا أن هذا الطرح لم يكن كافياً لأسباب منها :

- حجم العملية العسكرية التي قامت بها القوات الصربية، حيث استخدمت فيها الطائرات والمدافع والأسلحة الثقيلة بمختلف أنواعها، والتي أثبتت ضعف

التسليح العسكري لدى جيش تحرير كوسوفا، أمام ترسانة الأسلحة الصربية الحديثة والمتطورة في الوقت ذاته.

- طبيعة العملية وارتكاب أعمال عنف ضد الشيوخ والنساء والأطفال ، واغتصاب الفتيات المسلمات، وإطلاق النار عشوائياً على اللاجئين الفارين على الحدود من بطش القوات الصربية، هذا بالإضافة إلى المقابر الجماعية التي تم الكشف عنها والتي تضم العشرات من كبار السن والأطفال، ومحاولة تفريغ إقليم كوسوفا من سكانه، بل لقد تم إحراق مئات المنازل وتدمير قرى بأكملها، ونزوح أكثر من مليون لاجئ من كوسوفا إلى الدول المجاورة، وبالتالي تشير كل هذه الممارسات إلى أن العملية العسكرية أو الحرب التي شنتها قوات صربيا ضد مسلمي كوسوفا لم يكن الهدف من ورائها تصفية جيش تحرير كوسوفا الذي لا يتجاوز عدد أفراده عن (٣٠٠) فرد وبأسلحة قديمة ، وإنما اتخذها صربيا ذريعة لتقوم بتصفية التواجد الإسلامي الألباني داخل الإقليم.
- استمرار عمليات القتل والإبادة لمسلمي كوسوفا، على الرغم من ردود الفعل الدولية، ومطالب المجتمع الدولي بالوقوف ضد ما يقوم به الرئيس الصربي "سلوبودان" من انتهاك لحرية الإنسان، والاعتداء على الغير، وعلى الرغم من التحذيرات الدولية بفرض عقوبات اقتصادية على صربيا - إزاء تعنتها وممارستها الوحشية ضد المسلمين الألبان - كانت ضربات حلف الأطلنطي من ناحية يقابلها قتل وذبح للمسلمين العزل في كوسوفا من ناحية أخرى[٤١] . وحسب المفهوم الجديد للحلف، فإن الحلف لن يتوسع جغرافياً فقط، وإنما وظيفياً أيضاً، وهذا ما رفضته أوربا وروسيا والصين في آنٍ واحد.

أما لماذا تم تأجيل أزمة كوسوفا إلى ما بعد تصفية الوجود الإسلامي في البوسنة والهرسك ، فإن لذلك أسباباً نوجزها في العناصر الآتية:

- أن صربيا لم يكن هدفها الاستيلاء على إقليم كوسوفا ؛ لأنه بدون حرب يخضع لها مع أن الصرب في كوسوفا أقلية ضئيلة جداً، ووزنهم السياسي أكبر من أي قومية أخرى.

- أن صربيا كانت تنوى أولاً أن تضم البوسنة والهرسك إليها بعد استقلالها على يد "على عزت بيجوفيتش"، ثم يكون من السهل عليها بعد ذلك ضم إقليم كوسوفا دون حرب، وخاصة بعد فشل مباحثات (رامبوييه) الفرنسية بين الصرب والألبان.
- أن إقليم كوسوفا يمثل المسلمون فيه (٩٨%) بينما الأرثوذكس الصربيون أقلية، في الوقت الذي تصل فيه نسبتهم في البوسنة حوالي (٣٣%) من عدد السكان، حيث ستجد صربيا من يقف معها أثناء تدخلها في البوسنة أو في كوسوفا أو في مقدونيا إن هي أرادت ذلك، أو لعبت بورقة (الدين).
- أن أغلبية سكان كوسوفا ألبان، وبالتالي ستكون ألبانيا النصير الأول لشعب كوسوفا إذا ما تم الاعتداء عليها من جانب الصرب، بينما البوسنويين لم يكن لهم من ينصرهم في البلقان غير الأتراك، الذين تحولت حكوماتهم إلى حكومات "علمانية" لا يعنيها ما يحدث للمسلمين في البلقان أو في غيرها من مناطق العالم التي كانت في يوم من الأيام خاضعة لسلطانها.
- أن استقلال الإقليم أو انفصاله لا يحظى بتأييد دولي، وخاصة دول منطقة البلقان؛ إذ إن السماح لألبان كوسوفا بالاستقلال من شأنه أن يفتح الطريق أمام كل الأقليات في البلقان بأن تطالب بحقها في الانفصال، وهذا يعنى بداية مرحلة انفراط عقد كل دول البلقان.

وبالإضافة للعناصر السابقة يتضح أن صربيا كانت تعتبر دائماً أن المقاومة الألبانية في كوسوفا لن تهدأ طالما أن ألبانيا المجاورة موجودة وتدعمها؛ لذلك كانت تعمل بالتعاون والتنسيق مع اليونان منذ زمن بعيد، والتي كان لها أطماع في ألبانيا الجنوبية عند اقتسام ألبانيا وإعادة رسم الحدود في البلقان من جديد.

وتشير العديد من الدراسات والبحوث إلى فشل سياسة حلف "الناتو" في كوسوفا، وخاصة وأن الحلف وَجَّهَ كل إمكانياته لضرب قواعد الصواريخ والمباني الحكومية في بلجراد، في الوقت الذي كان يتدفق فيه آلاف اللاجئين إلى الدول المجاورة وخاصة مقدونيا، حيث تضاعفت عملية الانتقام الصربي مما دفع ذلك القوات الصربية لأن يقوموا بإطلاق الرصاص على مئات الألبان الذين خرجوا من بريشتينا متوجهين إلى مقدونيا، وأمعنوا فيهم قتلاً وتشريداً.

وقد عالجت الأمم المتحدة هذه المشكلة بمشكلة أكبر منها، وخاصة عندما رفضت السلطات المقدونية استقبال لاجئين جدد بعد أن استوعبت طاقتها من لاجئي كوسوفو والذين وصل عددهم حوالي (١٢٠) ألف كوسوفي ، الأمر الذي وضع مفوضية اللاجئين في مأزق صعب ، ودفعها ذلك إلى إعداد آلاف الخيام على الحدود لإيواء اللاجئين الذين كان معظمهم من الأطفال والنساء في وقت كانت فيه موجات البرودة أعلى من معدلاتها ، ووفاة مئات الأطفال وعشرات النساء الحوامل نظراً لنقص الدواء والبرد القارص [٤٢] .

كما أدى نقص الغذاء إلى قيام اللاجئين بأكل لحوم القطط والكلاب والحشرات الزاحفة بعد أن أوشكوا على الهلاك، ونفد الطعام من بين أيديهم ، وتأخرت المساعدات الدولية، حيث أغفلت أوربا ذلك و لم تسارع إلى نجدة المشردين، وأظهرت عجزاً واضحاً في عمليات الإغاثة، حيث إن نشوب المعارك كان يقتضي استيعاب قضية اللاجئين أولاً بشكل فعال ومدروس، للحد من محنة شعب كوسوفا بعد رفض العديد من الدول استقبال لاجئين آخرين من كوسوفا، كما أعلنت بعض الدول الأوربية عن موافقتها استقبال أعداد محدودة من اللاجئين، وكانت نهاية الصراع وتسكين الآلام فى المنطقة : اتفاق هزيل بين البوسنة وصربيا (١٩٩٦م) بشأن استقلال البوسنة ، واتفاق أكثر هزلاً من الأول عقده "إبراهيم روغوفا" مع القيادة الصربية بموجبه يتم بحث مسألة استقلال إقليم كوسوفا مع نهاية (٢٠٠١م) ولكن جاءت أحداث الحادى عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة لتعصف بأحلام هذه الشعوب فى الاستقلال وتقرير المصير ولكن متى ذلك ؟

أوضاع المسلمين فى البوسنة والهرسك وكوسوفا
بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١ م)

منذ وقوع التفجيرات في الولايات المتحدة الأمريكية المعروفة بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) وتداعيات الأزمة تتوالى الوحدة تلو الأخرى ، بداية من إسقاط نظام " طالبان" بأفغانستان ، وتدمير القواعد العسكرية لتنظيم القاعدة بها، مرورا بضرب العراق وإسقاط نظام "صدام حسين" الحاكم واستبداله بنظام ديمقراطى من خلال حكام موالين للولايات المتحدة الأمريكية ، مرورا أيضا بالتهديدات الموجهة إلى سوريا وإيران، وتخفيف حدة التهديدات للسودان - نسبيا - بعد أن أظهر نظام البشير فى السودان مرونة في الاتفاق مع "جون جارانج " المعروف بـ " مشاكوس" إلا أن مشكلة "دار فور" أعادت القضية إلى نقطة الصفر [٤٣] .

على الجانب الآخر كانت هناك قضايا ومشكلات كان من المفترض أن توجد لها الولايات المتحدة حلولا قبل عام (٢٠٠١م) ، وخاصة الوضع في البلقان (البوسنة والهرسك، وكوسوفا) إلا أن أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) أيضا عطلت كل المشاريع المزمع فتح ملفاتها إلى ما بعد التئام جراحها، ونهاية تداعيات الأزمة.

فاتفاق دايتون (١٩٩٦م) واتفاق "إبراهيم روغوفا " مع صربيا (١٩٩٨م) كان من المتوقع إيجاد حلول لهما مع نهاية عام (٢٠٠١م) فاتفاقية دايتون لم تأت للبوسنة والهرسك بحقها المسلوب، ولا حتى حقها في الاستقلال وتقرير المصير، حيث يقسم الاتفاق البوسنة إلى كيانين : أحدهما : الاتحاد الفيدرالي للمسلمين والكروات، والثاني : دولة اسمها صربيسكا ، وتعنى جمهورية الصرب،ويعطى الاتفاق الحق لكل كيان الاحتفاظ بخصوصياته ، وموروثه الثقافي ، وله رئيس خاص وبرلمان بجانب الأجهزة الفيدرالية المماثلة والتي لا تستطيع القيام بواجباتها إلا برضاء أطراف النزاع الثلاثة (صرب – مسلمين – كروات) ،كما يعطى الاتفاق الاعتراف بعلاقة كونفدرالية تربط بين الجزء الإسلامى الكرواتى بدولة كرواتيا، في الوقت الذي يسمح فيه لدولة صربيسكا بعلاقة خاصة مع صربيا .

والصيغة التي يقدمها اتفاق دايتون هي في حقيقتها قليل من الهدوء لقليل من الوقت، وأن الوقت الذي كان محددا لبحث مسألة تكوين دولة البوسنة والهرسك بعيدا

عن الاتحادات الفيدرالية والكونفدرالية هو نهاية عام (٢٠٠١م) ، وعلى الجانب الآخر كانت اتفاقية كوسوفا تنص فى بنودها على البحث في استقلال إقليم كوسوفا مع نهاية عام (٢٠٠١م) أيضا،وكذلك الوضع في الشيشان الذي ارتبط مشروع استقلاله أيضا بنهاية عام (٢٠٠١م) .

والسؤال: ماذا حدث في نهاية (٢٠٠١م) ليجعل كل هذه المشاريع الاستقلالية في طى الكتمان ، بل لا يستطيع أصحابها في ظل التوتر القائم أن يطالبوا بها، أوأن يتم تناولها عرضا في ظل الأزمة الحالية إلا أننا نستطيع أن نضع أيدينا على بعض النقاط المهمة فى هذا الشأن أهمها :

الوضع المتردى في منطقة البلقان:

منذ يوم ١١ سبتمبر لا تكاد توجد مطبوعة (صحيفة – أو مجلة) في أي دولة ما إلا وفيها خبر أو موضوع أو تقرير عن الإرهاب والتطرف ، وبلغت هذه الحملة حدتها في أوربا،حتى صحف دول البلقان جاءت تمشيا مع الركب الأوربى، والتنديد بما حدث في نيويورك وواشنطن من تفجيرات ودمار، وعلى الصعيد الرسمي وجدت القيادات البلقانية نفسها أمام خيارين لا ثالث لها: إما الإعلان عن رفض الإرهاب والتطرف والتبرؤ من هذه الممارسات التي تقوم بها بعض الفصائل الإسلامية الممثلة في نظام "طالبان، وتنظيم القاعدة" ، أو أن تجد نفسها ضمن الدول التي تضمها قائمة "محور الشر" ،وهى تلك الدول التي لم تندد بما حدث للولايات المتحدة في سبتمبر (٢٠٠١م) ، أو تلك الدول التي ترفض سياسة الولايات المتحدة الجديدة بعد أحداث سبتمبر ، مع أن قادة دول البلقان معظمهم ما يزالون على ولائهم القديم للشيوعية والمبادئ الاشتراكية.

وجاءت البيانات الصادرة عن دول البلقان (البوسنة – كوسوفا – ألبانيا – الجبل الأسود – مقدونيا – كرواتيا – صربيا – سلوفينيا) مؤيدة لما تنوى الولايات المتحدة القيام به ، بغض النظر عن الخطوات المرحلية والخطط المعدة للرد على ما حدث، وبالتالي كان من المؤكد ألا تفتح كوسوفا ملف استقلالها عن صربيا ، والمشار إليه وفق الاتفاقية التي أبرمها " إبراهيم روغوفا " مع القيادة الصربية،وكذلك استقلال جمهورية الجبل الأسود عن صربيا ، وانفصال البوسنة والهرسك عن التحالف مع كرواتيا،وفك الحصار الصربي عن تقرير مصيرها إلى الوقت الملائم.

وحتى تثبت دول البلقان للولايات المتحدة صدق نواياها قامت أجهزة الشرطة والمخابرات في كل من البوسنة والهرسك ، وكوسوفا ، وألبانيا ، وبلغاريا، وتركيا بإيقاف كل الهيئات والجمعيات الخيرية والإغاثية التي كانت تقوم على رعاية ضحايا حرب البوسنة وكوسوفا ، بل والاستيلاء على مدخراتها وميزانياتها تحت زعم بأنها أموال تم الحصول عليها من تنظيم القاعدة.

بل إن السلطات الأمنية في البوسنة و كوسوفا أوقفت نشاط جمعية طبية – إحدى الجمعيات التي حققت نجاحا في مجال الإغاثة الإنسانية، وإعادة تعمير المنشآت الإسلامية من مدارس ومساجد، ومراكز إسلامية – و التي يتولى تمويلها رجل الأعمال السعودي " ياسين القاضي " الذي اتهمته المخابرات الأمريكية بأنه يتعامل مع "أسامة ابن لادن "ويشاركه العديد من مشاريعه الإسلامية، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة لأن تجمد كل أمواله المودعة في البنوك الأمريكية والسويسرية، وكذلك الأموال الخيرية التي رصدها لخدمة أبناء المسلمين في البوسنة ورعايتهم بالبنوك البوسنية.

كما إن الحملة على الهيئات الإسلامية والخيرية في دول البلقان وإن كانت قد استطاعت أن تحقق نجاحا في تصفية كل الأنشطة الإسلامية التي كانت تقدم لمسلمي البوسنة وكوسوفا، إلا أنها سببت أزمات عديدة على المستوى الإغاثي، حيث تولت جمعيات ومنظمات تنصيرية هذه المهمة خلفا للمنظمات الإسلامية والخيرية ومعظم هذه المنظمات أمريكية – مخابراتية، حتى المؤسسات الإسلامية الوطنية في ألبانيا وبلغاريا ومقدونيا والمجر باتت مهددة بأن توقف كافة أنشطتها ؛ لأنها تقوم على رعاية أطفال من المسلمين سيكونون في المستقبل أكبر تهديد لأوربا عندما يصلون إلى مرحلة الشباب؛ إذ إنهم تربوا على كره الغرب، ورفض السياسة الأمريكية منذ ولادتهم، هكذا يتصور رئيس تحرير صحيفة صربيا اليومية .

بل لقد أدت عمليات العنف الاضطهاد إلى قيام بعض الإسلاميين نتيجة الضغط النفسي والعصبي عليهم بإدانة ما قام به " أسامة بن لادن ، وتنظيم القاعدة " واتهام تنظيم القاعدة بأنهم مجموعة من الكفار والمارقين عن الإسلام، وقد تأتى مثل هذه التصريحات لتعطى نوعا من الهدوء نتيجة الحملات العنيفة التي تشنها وسائل الإعلام في معظم دول البلقان بصورة استفزازية ، يضطر المشايخ والأئمة إزاءها لأن يدلوا بتصريحات تليفزيونية تشوه صورة بعض المسلمين ، وتكفر بعض التيارات والمنظمات

الإسلامية مقابل ألا تتهمه السلطات بأنه أحد الذين ثبت تعاونهم مع تنظيم القاعدة ويكون مصيره داخل معسكرات الإرهابيين في (جوانتاناموا) .

وطرد العديد من الجنود العرب – ومن الدول الإسلامية – الذين كانوا قد انخرطوا مع المقاومة الإسلامية في البوسنة والهرسك وكوسوفا ، بل تم القبض على العديد منهم بتهم لا تخرج من اتهامهم لتنظيم القاعدة أو تلقيهم أموالاً من " أسامة بن لادن" زعيم تنظيم القاعدة مع سحب الجنسية من البعض الآخر ومطالبتهم بمغادرة البلاد.

الموقف من الأزمة الأمريكية:

وعلى المستوى السياسي ، فقد بات واضحاً أن الخطاب السياسي في البلقان قد تحول في مضمونه من رفض الهيمنة والسيطرة والغطرسة الأمريكية في العالم قبل أحداث سبتمبر إلى خطاب مرن يحمل الكثير من مشاعر التعاطف والود للولايات المتحدة ، والمواساة في الحادث الأليم الذي راح ضحيته أبرياء في مركزي التجارة العالمي والبنتاجون والوقوف مع الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب ، والغريب أن كل القوى السياسية في البلقان – التي كانت في صراع وشد وجذب بين أطرافها حول معظم القضايا السياسية والدينية – لم تتوحد على قضية إلا في تأييد الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب.

كما جاءت التصريحات السياسية لقادة وزعماء دول البلقان متفقة مع التصريحات السابقة للإدارة الأمريكية حتى في مفرداتها وتراكيبها اللغوية ، حيث توجد فقرات كاملة في تصريحات بعض زعماء دول البلقان منسوخة من تصريحات الرئيس الأمريكي " بوش " ، و " كولن باول " وزير الخارجية و " كونداليزا ريس " مستشارة الأمن القومي في الإدارة الأمريكية والبيت الأبيض آنذاك .

وبالتالي ، فقد أدرك الألبان ومسلمو البوسنة أن الموقف الدولي لن يكون في صالحهم بشأن المقاومة والمطالبة بحقوقهم السياسية المشروعة وخاصة بعد أحداث سبتمبر ودخول الجماعات الإسلامية والمتطرفين الإسلاميين في بؤرة الصراع ، أي هناك قاسم مشترك بين الألبان ومسلمي البوسنة ومن قاموا بالتفجيرات في واشنطن ونيويورك " هو الإسلام " مما زاد من صعوبة الفصل بين الإسلام كدين و بين من ينتمون إليه من مختلف الفصائل .

وإزاء ذلك استطاعت الصحافة في البوسنة وكوسوفا وألبانيا أن تكون رأيا عاما مؤيدا للموقف الأمريكي في حربه على الإرهاب والتنظيمات الإرهابية في بلدان العالم المختلفة ، الأمر الذي دفع بعض الكتاب السياسيين في (الواشنطن بوست) لأن يؤكد أن تعاون ومؤازرة مسلمي البلقان في الأزمة التي تمر بها الولايات المتحدة كان أكثر إيجابية عن نظرائهم في العالم العربي والإسلامى .

ولعل وجهة النظر في البوسنة والهرسك وكوسوفا كانت أكثر اتفاقا بشأن ما أعلنته الولايات المتحدة في حربها على الإرهاب ؛ إذ من المنتظر أن يجد هذا الموقف المؤيد للسياسة الأمريكية صدا ورد فعل من جانب الإدارة الأمريكية في سعى البوسنة والهرسك وكوسوفا لنيل حقوقهما في الاستقلال كدول تتمتع بأغلبية مسلمة.

إلا أن القراءة المستقبلية للوضع في البلقان والذي صاحب أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) أن استحسان الإدارة الأمريكية لموقف دول البلقان - ذات الأغلبية المسلمة - لا يعنى البتة لأن يتحول هذا الموقف إلى موقف سياسي مؤيد لدعم مطالب هذه الدول في منحها الاستقلال الكامل عن صربيا، بل إن الإدارة الأمريكية لن تسمح بوجود أحزاب إسلامية سواء في دول البلقان أو في غيرها ، أو حتى السماح للمنظمات والجمعيات ذات النشاط الخيري المدعوم من عناصر وجماعات ذات توجهات دينية بممارسة نشاطها كما كان قبل الحادى عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) .

وهذا ما يفسر بوضوح قيام حكومات كلا من البوسنة ، وألبانيا ، وكوسوفا، وصربيا،وكرواتيا،والجبل الأسود،وسلوفينيا بتسليم قائمة مطولة بأسماء بعض الناشطين من الإسلاميين المطلوب القبض عليهم ، والذين يعتقد بأن لهم علاقات وصلات مع تنظيم القاعدة الذي يتزعمه السعودي " أسامة بن لادن " بل إن الولايات المتحدة طلبت بصراحة من دول البلقان ذات الأغلبية المسلمة إغلاق مكاتب كافة المنظمات والجمعيات الإسلامية الخليجية وخاصة السعودية تحديدا ؛ نظرا لأن المتهم الأول في التفجيرات الأمريكية هو " أسامة بن لادن" وهو رجل أعمال سعودي كانت له علاقات مع الكثير من هذه المنظمات والجمعيات واشتراكهم معا مع الأعمال الخيرية وتدعيم عناصر المقاومة الإسلامية في دول البلقان ضد الصرب للحصول على الاستقلال بقوة السلاح.

وبالتالي ، فإن الوضع في البلقان يؤكد حقيقة واضحة وهي النية الأمريكية في إبقاء الوضع في البوسنة والهرسك، وكوسوفا ، والجبل الأسود ومقدونيا كما هو ، وإن استقلال كوسوفا من صربيا لن يجد طريقه إلى التطبيق الفعلي، إلا إذا تغيرت السياسة الأمريكية الحالية ، وهذا غير وارد في الفترة القادمة حيث تتجه النية إلى الإبقاء على الوضع في البوسنة والهرسك والاتحاد الفيدرالي المشاكل بينها وبين كرواتيا.

أما مقدونيا وصربيا فيعدان الورقة الرابحة لمرحلة ما بعد سبتمبر (٢٠٠١م) إذ تعول الولايات المتحدة وأوربا عليهما في استمرار الوضع كما هو ، في منطقة البلقان ، ومن هنا يمكن القول : إن أحداث سبتمبر (٢٠٠١م) أثرت بالفعل على قضايا المسلمين في البوسنة والهرسك ، وكوسوفا ، وألبانيا سياسيًّا واقتصاديًّا حتى على المستوى الإغاثي بإغلاق مكاتب الهيئات الخيرية والإسلامية ، وتشجيع عشرات المنظمات التنصيرية لأن تقوم بدورها في رعاية أبناء المسلمين باسم "يسوع المخلص " .

ثالثا: أوضاع الأقليات الإسلامية في اليونان وقبرص قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

يذكر التاريخ : أن الأتراك حكموا اليونان عدة قرون ، وقد هاجر إليها الكثيرون من مسلمي الأتراك والبلغار والألبان واستوطنوا هناك، وتم اعتبارهم من سكان البلد الأصليين، كما أشارت إلى ذلك المواثيق الدولية ، حيث نصت معاهدة (لوزان) على تبادل السكان بين الدولتين ، فطردت الدولة المنتصرة - وهي اليونان- المسلمين الألبان والمقدونيين حتى بلغت هجرة المسلمين إلى تركيا وحدها أكثر من (مليون وربع المليون) من المسلمين، وتعرض المسلمون الباقون لاضطهاد ديني لم يحدث من ذي قبل[٤٤] .

ويتمثل العداء بين الأتراك واليونانيين حول عدد من القضايا الخلافية أبرزها جزيرة قبرص المقسمة حاليا إلى: جزء شمالي ويسكنه المسلمون الأتراك، وجنوبي ويسكنه المسيحيون اليونانيون، وكل منهم يستند في رأيه على الجذور الممتدة لكل منهما في الجزيرة، حيث يعود فتح المسلمين لقبرص لأول مرة عام (٢٨هـ) ثم عادوا وفتحوها عام (٣٤هـ) وذلك في عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وظلت الجزيرة محلا للنزاع، وبؤرة للصراع بين المسلمين والروم في العهد العباسي، ثم احتلها الصليبيون إلى أن فتحها العثمانيون، وظلت تحت حكمهم قرابة أربعة قرون، حتى احتلتها بريطانيا (١٨٨٨م)، لتبدأ الأزمة القبرصية بين الأتراك واليونانيين تأخذ مسارات عديدة[٤٥] ، ولعبت الكنيسة الأرثوذكسية دورا مهما في تصعيد الأحداث بين الجانبين، وتؤكد الأحداث حقيقة أن العامل الديني لايزال يتحكم في سلوك اليونانيين السياسي إزاء الأقليات الإسلامية في اليونان.

وتعد الفترة من (١٩٩٠ — ٢٠٠٠م) أشد فترات الأزمة القبرصية تصعيدا بالنسبة للأتراك واليونانيين على حد سواء، وسعيا في إنهاء هذا الصراع قامت لجان وزارية لإرساء أسس التفاوض بين الدولتين؛ حيث أذاعت وسائل الإعلام العالمية نبأ توصل حكومة " أجاويد" إلى صلح مع الحكومة اليونانية بشأن تسوية الأزمة القبرصية وخاصة بعد أن أصبحت تركيا عضوا في الاتحاد الأوربي وحلف الأطلنطي[٤٦]، ورغم التدخل الدولي لإنهاء الصراع حول قبرص بين الأتراك واليونانيين، فإن نقاط الخلاف

بين الطرفين ما تزال تطل برأسها بين الحين والآخر، تاركة وراءها أعمال عنف ضد الأقلية المسلمة في اليونان وقبرص ، وخاصة بعد أن أعلنت روسيا تأييدها الكامل لليونان، بل وصل الحد إلى تزويد روسيا القبارصة اليونانيين بأحدث الأسلحة المتطورة والصواريخ ذات المدى البعيد ، وتم استخدامها في إدارة الحرب في الجزيرة ضد القبارصة الأتراك.

وكانت اليونان أول الدول التي شهدت النهضة الإسلامية في الوقت الذي كانت أوربا تعيش عصر الظلمات، أو عصر القرون الوسطي وسيطرة الكنيسة على حياة الأوربى ، وبالتالي لم يكن صعبا على الأتراك العثمانيين احتلالها والسيطرة عليها لقرون طويلة امتدت لأكثر من (٣١٩) عاما.

وبعد الفتح العثماني لها هاجرت أفواج عديدة من مسلمي تركيا وبلغاريا وألبانيا، واستوطنوا هذه البلدان، وتم اعتبارهم من سكان البلد الأصليين، وبعد انهيار الحكم العثماني هناك تم إعادة توزيع السكان في دول البلقان، فطردت الدولة المنتصرة (اليونان) المسلمين الألبان والمقدونيين حتى بلغت جملة الذين هاجروا اليونان متوجهين إلى تركيا وحدها حوالي مليون وربع المليون مسلم وفق معاهدة (لوزان) التي وقعت عليها الدولة العثمانية مع الدول الاستعمارية الكبرى ، وتم تفريغ اليونان من الغالبية المسلمة التي كانت بها ، وتم استجلاب المسيحيين من الجزر المجاورة ، ليستوطنوا اليونان، وتحولت الغالبية (المليوني مسلم) إلى (٢٠٠) ألف مسلم فقط ، وتتعرض هذه الأقلية إلى أعمال عنف واضطهاد ضد مصالح المسلمين ، وتعد أزمة قبرص من المسائل شديدة التعقيد بين تركيا واليونان ، بعد تقسيم الجزيرة إلى قبرص اليونانية وقبرص التركية.

ولم يتخل السكان اليونانيون يوما عن العداء التاريخي مع الإسلام و المسلمين، حيث تلعب الكنيسة الأرثوذكسية تاريخيا القيادة الرئيسية المؤثرة في التحولات والمتغيرات السياسية والاجتماعية، إذ يمثل المسيحيون حوالي (٩٨%) من إجمالى السكان في اليونان، ولا يمثل المسلمون أكثر من (١,٣%) من السكان ، ويدين اليونانيون بالولاء الكامل للكنيسة الأرثوذكسية [٤٧] مما يؤكد أن الكنيسة الأرثوذكسية مؤسسة دينية لها نفوذها الكبير فى العالم كله وخاصة فى الولايات المتحدة، واستطاعت أن تصوغ انطباعا قويا بين اليونانيين، بأنه لا يمكن أن يكون اليوناني مسلما، فالإسلام

عند اليونانيين يعني الأتراك، والمواطن التركي هو الإنسان المعادى لليونان، وهذا الانطباع يمثل الصورة الذهنية التي قامت عليها حملات العداء للأتراك والذي انعكس بصورة مباشرة على المسلمين في اليونان .

كما لم تكتف قوات الشرطة بمطاردة المسلمين والسعي نحو إبعادهم إلى أية دولة مجاورة، بل قامت بمطاردة المشايخ وأئمة المساجد، حيث تم القبض على مفتي الأقلية المسلمة في شمال شرق اليونان " محمد أمين أغا " (١٩٩٣م) ، وأصدرت المحكمة حكمها بالسجن عشرة شهور بسبب اتهامة لليونانيين بأنهم يعاملون الأقلية المسلمة معاملة سيئة، تحمل مشاعر الكره للإسلام والمسلمين ، وقد وضحت هذه المعالم من مساندة اليونان لصربيا في حربها على البوسنة والهرسك، وكوسوفا، وتصفية الوجود الإسلامى من البلقان.

وقام الإعلام اليوناني بشن أعنف حملاته على تركيا منذ سنوات طويلة، وما تزال الصحف اليونانية تنشر في ملفاتها ما قام به المسلمون الأتراك في اليونان على مدار سنوات بعيدة، متهمين الأتراك بإجبار المسيحيين الأرثوذكس على اعتناق الإسلام بالبطش والعنف والإرهاب، وهذا ما جعلهم أغلبية عددية في بعض الدول والجزر المجاورة، بل ووصف الاحتلال التركي بأنه كان احتلالاً استعماريًّا دينيًّا ، وتم تصوير هذا السلوك بشكل درامي يرتبط بقطع أجزاء من أثداء النساء اليونانيات المسيحيات لصناعة مسابح للولاة المسلمين، وهذا بالطبع تصوير مبالغ فيه، يحمل دلالات الكره القديم للأتراك المسلمين، وتشويه معالم الصورة عند اليونانيين والمتعاطفين مع الحق التركي في جزيرة قبرص.

ويذكر التاريخ أن اليونانيين يمثلون الصورة الأعنف في معاملة الأقليات المسلمة، بل واستغلالها لصالحها في وقت الأزمات، ففي عام (١٩٤٧م) وفي أعقاب الحرب الأهلية في اليونان – بين الشيوعيين ونظام الحكم الملكي– استغلت الحكومة المركزية اليونانية مشاعر المسلمين ضد الشيوعية ، وجندت المسلمين لمحاربتها، وعاملت الدولة المسلمين آنذاك معاملة جيدة، ولكن وبمجرد أن انتهت الحرب الأهلية حتى عادت قوات الشرطة تتعقب المسلمين والزج بهم في السجون بدون تهمة، أو جريمة يعاقبون عليها، وخاصة في منطقة (تراقيا الغربية) ذات الأغلبية المسلمة .

إلا أن النظام الملكي الذي استطاع مطاردة الأقليات الإسلامية في اليونان لم يهنئ طويلاً بالسيطرة على الحكم والعرش ، حيث شهدت اليونان انقلاباً عسكرياً عام (١٩٦٧م) ضد النظام الملكي، ثم تم إعلان الجمهورية عام (١٩٧٤م) ، وأصبح نظام الحكم في اليونان برلمانيّاً رئاسيّاً تدعمه مجموعة من الأحزاب السياسية تنتمي بعضها للتيار الليبرالي، والبعض الآخر للتيار الاشتراكي مثل حزب التجديد الديمقراطي، والحزب الديمقراطي الجديد، ويمثل التيار الاشتراكي الحركة الاشتراكية اليونانية، والحزب الشيوعي، والحزب الاغريقى اليساري[٤٨] إلا أن كلا التيارين أظهر عداءً صريحاً للإسلام والمسلمين في اليونان، وإن كان الاختلاف بينهما واضحاً في مختلف القضايا السياسية والاقتصادية التي يتم تناولها فى البرلمان.

فالاضطهاد اليوناني المدفوع برغبة الأرثوذكس في تصفية الإسلام من اليونان المسيحية ما يزال يمارس بعنف، وإن كانت أحداث سبتمبر جاءت لتغطى عشرات الجرائم التي ترتكبها الشرطة اليونانية ضد المسلمين يوميًّا، وسكتت الأقلام الصحفية التي كانت تطالب الحكومة اليونانية بدمج الأقلية المسلمة في النسيج القومي اليوناني، حتى لا يكون هناك مجرد التعاطف مع إخوانهم الأتراك في قبرص التركية، إلا أن الحكومة ترفض بشدة أي مفاوضات مع الأقلية المسلمة وتطالبها بالرحيل عن أرض اليونان ، واللجوء إلى تركيا أو دول شمال إفريقيا الذين ينتمون إلى نفس الدين.

هوامش الفصل الثامن

(١) عبد الغنى سعودي : الجغرافيا السياسية المعاصرة (القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٩٧م) ص ١٦٢ -١٦٦ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات الإسلامية (جدة : هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ١٩٩٢م) .

(٣) محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامى (القاهرة : الأنجلو المصرية ٢٠٠٠م) ص١٢٨-١٤٠ .

(٤) منظمة المؤتمر الإسلامى ، تقرير بشأن وضع الأقليات في العالم ٢٠٠٠م) ص٢ .

(٥) عبد الغنى سعودي : الجغرافيا السياسية، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٦) جعفر عيد المهدي : توظيف العامل الديني في الأزمة اليوغوسلافية (بيروت: المستقبل العربي، عدد (٢١٨) ١٩٩٥م) ص ٤٩ .

(٧) السيد عوض : الأزمة اليوغوسلافية (بيروت : الفكر الاستراتيجي العربي، عدد (٤٠) ١٩٩٢م) ص ٧ .

(٨) مجدي نصيف : حرب البوسنة والهرسك (القاهرة : دار المستقبل العربي ١٩٩٣م) ص ١٩.

(٩) فوزي طايل : مذابح البوسنة و الهرسك (القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٤م) ص ١٠٤.

(١٠) الإسلام ودعوة التحرير (مؤتمر الجماعات الإسلامية في لندن،دار الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٠م) ص ١٤٢، ١٤٣ .

(١١) جريدة التايم البريطانية : الإسلام في الولايات المتحدة (العدد (١٥) يونيو ١٩٩٢م) ص ١٨- ٢٧ .

(١٢) مجدي نصيف : حرب البوسنة والهرسك، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

(١٣) فوزي طايل: مذابح البوسنة و الهرسك، مرجع سابق ، ص ١٢٠.

(١٤) ملف يوغوسلافيا (منشورات وزارة الإعلام : بلجراد ١٩٩٦م) .

(١٥) فوزي طايل : مذابح البوسنة والهرسك، مرجع سابق ، ص ١٧ .

(١٦) جمال الدين سيد : البوسنة والهرسك، مرجع سابق ، ص ١١ .

(١٧) البوسنة والهرسك (جريدة الحياة اللندنية ١٤/٩/١٩٩٢م) ص ٦ .

(١٨) الإسلام في يوغوسلافيا (الإمارات : مجلة منار الإسلام ، عدد أبريل ١٩٩٤م) ص ٦٣ .

(١٩) رحمة الله أحمد : (جريدة العالم الإسلامى السعودية :عدد ٣ يوليو ،١٩٨٩م) ص ٣ .

(٢٠) أزمة البوسنة والهرسك (القاهرة : مركز الدراسات الحضارية، ١٩٩٥م) ص ٨٨ .

(٢١) فوزي طايل: مذابح البوسنة والهرسك، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٢٢) زهدي بكر : المسلمون في يوغوسلافيا (مجلة الحرس الوطني السعودية،عدد ديسمبر ١٩٩١م) ص ٣٦ .

(٢٣) أزمة البوسنة والهرسك ،مركز الدراسات الحضارية ص ٧٥، ٧٦.

(٢٤) زهدي بكر : المسلمون في يوغوسلافيا، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢٥) جعفر عبد المهدي : توظيف العامل الديني، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

(٢٦) صابر طعيمة: محنة الأقليات الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٤٠ .

(٢٧) جمال الدين سيد: البوسنة والهرسك، مرجع سابق ص ١٨ .

(٢٨) أزمة البوسنة والهرسك (القاهرة : مركز الدراسات الحضارية، ١٩٩٥م) مرجع سابق ص ٨٨ .

(٢٩) زهدي بكر: المسلمون في يوغوسلافيا، مرجع سابق ص ٤١ .

(٣٠) البوسنة والهرسك (مجلة منبر الإسلام: عدد يناير ١٩٩١م) ص ٨٥ .

(٣١) رحمة الله أحمد : المسلمون في البوسنة، مرجع سابق ص ٣ .

(٣٢) ممدوح الشيخ: المسلمون ومؤامرات الإبادة ، مرجع سابق ص ٤٩ .

(٣٣) أحمد رمضان: حرب إبادة المسلمين في البوسنة (الكويت :مجلة الوعي الإسلامي ، عدد أكتوبر ١٩٩٣م) ص ٢١ .

(٣٤) حرب إبادة المسلمين في البوسنة، المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣٥) محمود عبد الرازق: محنة الأقليات الإسلامية في أوربا (القاهرة : مطبعة أولاد عبد العال ١٩٩٦م) ص ١٤٦، ١٤٧ .

(٣٦) مليون كوسوفي مشردون (مجلة الخيرية: عدد يونيو ١٩٩٩م) ص ٤٤ .

(٣٧) رحمة الله أحمد: المسلمون في البوسنة، مرجع سابق ص ٣٣ .

(٣٨) مجدي نصيف : حرب البوسنة والهرسك، مرجع سابق ص ١١١ .

(٣٩) مالك عوني : كوسوفا صراع الطموحات القومية (مجلة السياسة الدولية :عدد (١٣٧)، يونيو ١٩٩٩م) ص ١٠٣ .

(٤٠) مليون كوسوفي مشردون ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

(٤١) مالك عوني : كوسوفا، صراع الطموحات، مرجع سابق ص ٢٠٧ .

(٤٢) طارق البكري : مأساة كوسوفا ، (مجلة الخيرية ، عدد يونيو ١٩٩٩م) ص ٣٥ .

(٤٣) حمزة زوابع : البلقان بعد أحداث سبتمبر (إسلام أون لاين ، شؤون سياسية ٢٠٠١/١٢/٣٠م) .

(٤٤) محمود عبد الرازق : محنة الأقليات الإسلامية في أوربا، مرجع سابق ص ٧٤، ٧٥ .

(٤٥) عبد العزيز صقر : الدين والدولة في الواقع الغربي، مرجع سابق ، ص ١٩٧ .

(٤٦) سيد حنفي : في قضايا الفكر ومشكلات المسلمين، مرجع سابق ص ٢٠٦، ٢٠٧ .

(٤٧) المسلمون في اليونان (مجلة منار الإسلام : عدد مارس (١٩٩٥م) ص ١٢٦ .

(٤٨) سيد حنفي : في قضايا الفكر ومشكلات المسلمين، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .